ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1164
2023/10/24

الملحق الثقافي

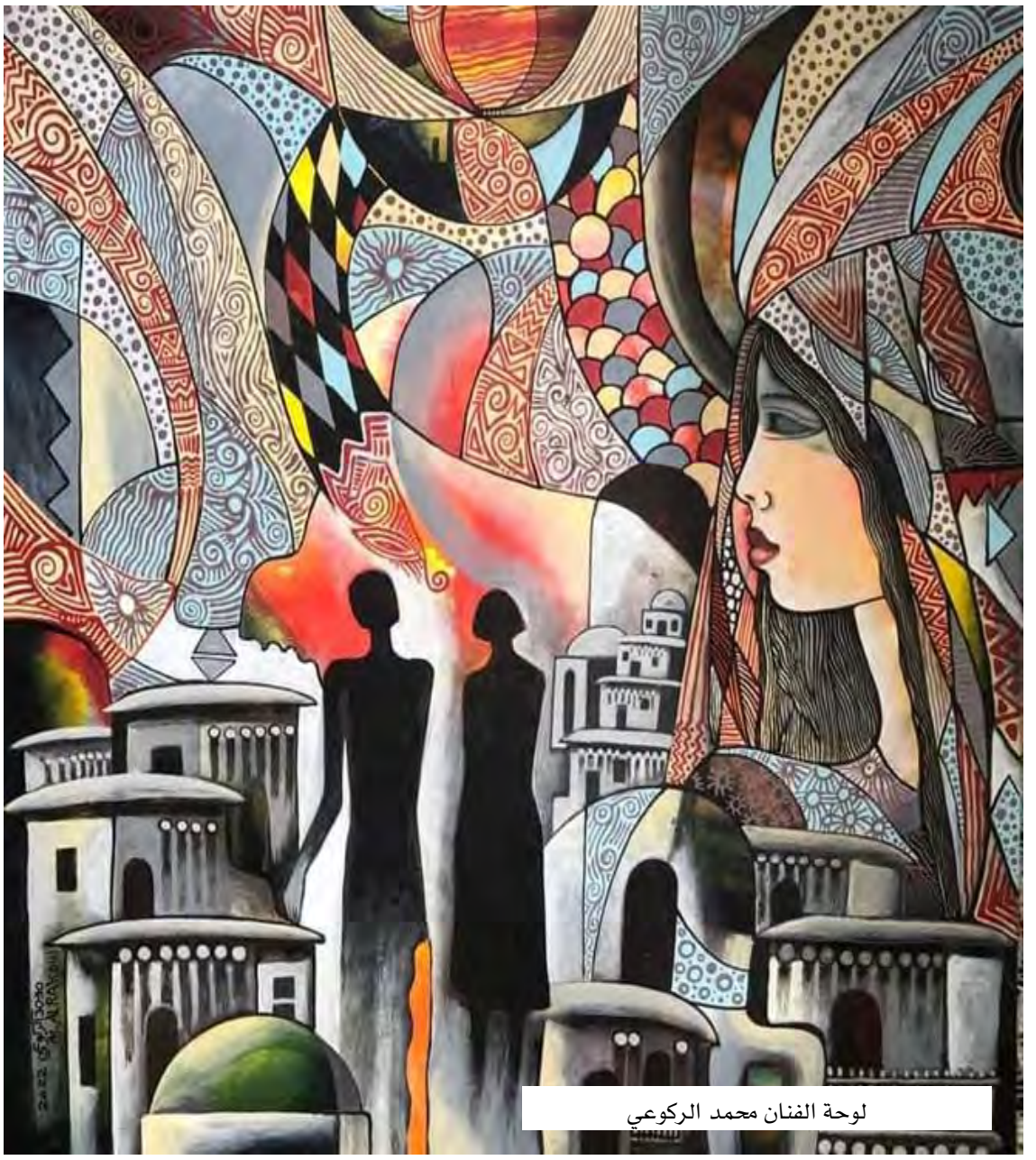
لوحة الفنان محمد الركوعي

ملف العدد

الإبداع في خندق المواجهة ٢-٢

أول الكلام

تزوير التاريخ ...

▪ ديب علي حسن

ربما يجب علينا أن نطرح السؤال المر الذي لا يبحث عن إجابات بقدر ما يعني أنه إشارة إلى أننا لسنا مغفلين.

السؤال الذي نتحدث عنه: من يكتب التاريخ ومن يتابع مجرياته ..هل ثمة مؤرخون منصفون يكتبون ويدونون ؟

بالتأكيد:لا ..ليسوا موجودين والتاريخ كما هو متعارف عليه يكتبه الأقوياء والمنتصرون بغض النظر عما إذا كان نصرهم حقيقياً ومن أجل الكرامة الإنسانية.

اليوم أحداث كبرى تجري أمامنا ونراها بعين الحقيقة لكن ثمة من يرويها ويقدمها على أنها النقيض تماماً.

الكيان الصهيوني اللقيط يرتكب المجزرة تلو المجزرة ويعمل الإعلام الغربي على نقلها بشكل آخر.

يضخ لمتابعيه ما لا وجود له على الواقع يقلب الحقائق تماماً..تصبح الضحية وحشاً كما يصورها والوحش غزالاً أليفاً مسالماً يقاوم أنياب الوحوش الكاسرة بلحمه العاري.

وربما من حسن حظ أجيالنا أن ثمة وسائل لتوثيق الوقائع غير سرديات الإعلام الغربي ..الصورة توثق والكثير من الروايات تنشر وتدعمها روايات تؤيدها ..

هنا يأتي دور التوثيق ونشر الحقائق على أوسع نطاق في كل بقاع الأرض.

يجب ألا نتعب ونستسلم للحظات الدعة المعركة طويلة متعددة الاتجاهات وكل منا له دوره فيها فلنحسن الدور.

رأيت الله في غزة
القمر والصمت
أدب الذكريات
كيف نكتب أدب الحرب

الثقافة في أسبوع

رحيل

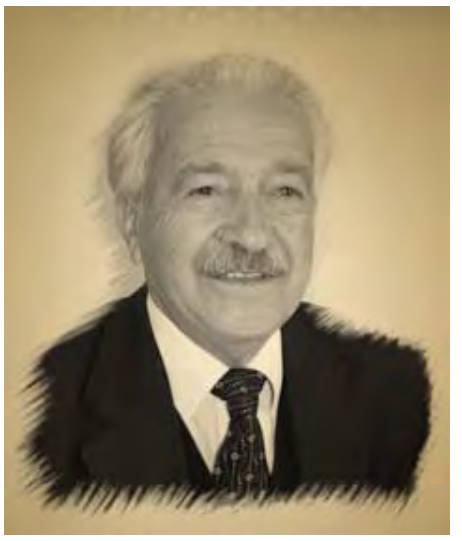

غيّب الموت الأديب والروائي وهيب سراي الدين أحد رواد القصة والرواية، وذلك عن عمر ناهز ٨٩ عاماً، أمضاها في العطاء ورفد الوسط الثقافي بمجموعة غنية ومتنوعة من الأعمال الأدبية المتميزة.

ويحمل الراحل في سجله العديد من الروايات، منها قرية رمان عام ١٩٦٥، وحفنة تراب على نهر جغجغ عام ١٩٧٨، والرجل والزنزانة عام ١٩٨٨ وسلاماً يا ظهر الجبل ١٩٩٠، والمهندسون ١٩٩٣، ومساحة ما من العقل ١٩٩٥ واشتقاقات الفصل الأخير ١٩٩٦.

وأغنى الراحل المكتبات بمجموعة قصص صدرت له، منها الرقيق عام ١٩٨٥، والحل عام ١٩٩١، وطائر الكريم عام ١٩٩٢، والعالم في سهرة ١٩٩٤، وبركة الطيور ١٩٩٧، ونفاذ الرمل ١٩٩٨، إضافة لمشاركته في إصدار (موسوعة جبل العرب) سويداء سورية، بالاشتراك مع عدة مؤلفين.

وأشارت رئيسة فرع اتحاد الكتاب العرب في السويداء وجدان أبو محمود في تصريح لمراسل سانا إلى مدى خدمة الأديب سراي الدين للثقافة عبر الأعمال الأدبية الكثيرة التي قدمها خلال مسيرته الحافلة، مبينة أنه يعتبر من أوائل الذين ساهموا في كتابة وإطلاق الرواية في السويداء مع راويته الأولى قرية رمان عام ١٩٦٥، ويعد أحد الكتاب السوريين الذين وضعوا مداميك مهمة في بناء الرواية والقصة، وتميز بتواضعه وقربه من الناس والواقع وبالانتماء للأرض التي عاش بها، وظهر ذلك جلياً في أعماله.

معرض

المعرض الأول للفنانة التشكيلية سهر ونوس ضم أكثر من ٤٥ عملاً بين فن تشكيلي ونحت وديكور، وحضره نخبة من الفنانين والمهتمين بحمص.

الفنانة التي درست هندسة الديكور أتقنت بأسلوبها الخاص دمج مختلف الخامات الفنية للخروج بأعمال متنوعة منها منحوتة أمواج التي تمثل جمال الشعب المرجانية ومنحوتة صلابة وهي عمل فني يمثل قوة الإنسان في مجابهة مصاعب الحياة ومنحوتة برمودا التي تجسد غرابة وألوان مثلث برمودا ولوحات «سماء وماء وليلى وفكر خارج الصندوق وأثر الفراشة وشموخ» وغيرها الكثير.

واستقت الفنانة بعض لوحاتها من لوحات فنانين عالميين حيث أعادت رسم بعض اللوحات بأسلوبها الخاص منها لوحة ليلة النجوم وبورتيه ذاتي لفان غوخ والرجل الفيتروفي لدافينشي ولوحة الحياة لبيكاسو وغيرها.

وفي تصريح لها قالت ونوس: إن المعرض هو باكورة نشاطها الفني بعد عملها لعدة سنوات بمجال هندسة الديكور وهو منوع يحمل جميع الأنماط الفنية وهي أعمال منتقاة من مجموعة كبيرة أنجزتها خلال عدة أعوام.

ولفتت ونوس إلى أهمية دعم الحراك الفني بحمص وتشجيع الفنانين الشباب للبدء بمشاريعهم الخاصة وتقديم نتاجهم الفني للعلن.

رئيس فرع اتحاد الفنانين التشكيليين بحمص إيميل فرحة أثنى على أسلوب ونوس وقدرتها على صنع الجمال من مختلف الخامات.

بدوره قال مدير ثقافة حمص حسان لباد: إن المعرض قدم جرعة من الفن بأنامل أنثوية اختارت مواضيعها وألوانها بعناية من حيث الانعكاس الفني والنفسي.

الفنانتان التشكيليتان سميرة مدور وكارمن شقيرة بينتا أن المعرض يدمج الديكور مع الفن التشكيلي ويقوم أيضاً بتصميم الأثاث المنزلي بأشكال جميلة، وهو بادرة لها قيمتها في هذا الزمن لأنها تؤكد أننا أصحاب حياة وشبابنا يحمل روح الأمل والتجدد على الرغم من جميع المصاعب.

يذكر أن المعرض أقيم في صالة سهر للفن التشكيلي بحي عكرمة الجديدة بعد افتتاحها والتي ستحتضن بشكل أسبوعي معارض ونشاطات فنية للشباب الموهوبين.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي
جودت هوشيار
حسين صقر
حبيب الابراهيم
حسن ابراهيم أحمد
رجاء شعبان
فرات اسبر
ليلى مصطفى
محمد خالد الخضر
منى حبابة
محسن فندي
هيلانة عطا الله
وفاء يونس
يوسف الخطيب
ياسر الصيرفي
ياسمين درويش

كيف نكتب أدب الحرب ..؟

وفاء يونس

من الضّرورة بمكان أن نبحث عن الجواب فيما كتبته الدكتورة نجاح العطّار لأنّها الأكثر قرباً من ساحات العمل الأدبيّ والإبداعيّ ، والأكثر اهتماماً بهذا الموضوع الذي رأينا سابقاً كيف أنجز كتاب أدب الحرب ، مع الروائي الرّاحل حنا مينه ، تقول الدكتورة نجاح العطّار في كتابها : ملامح من حياة منذورة للكفاح ، الهيئة العامّة السوريّة للكتاب ،٢٠١٩م ص٣١ وما بعد من مقال تحت عنوان ﷺ كيف نكتب أدب الحرب ..؟

(والسّؤال المطروح بصيغته كيف نكتب أدب الحرب ..قد تخطّى بنا المنزلق ووضعنا على أرض صلبة وجعل من مهمتنا أن نبحث لا في وجود أدب الحرب أو لا وجوده ،بل في كيفية إيجاده حتى إذا لم يكن موجوداً وهذا هو المنطلق الصّائب في رأيي)

غير أنّ أدب الحرب قد كان موجوداً منذ بدأت الحروب وإلى أن تزول فالحرب متابعةٌ للسياسة بوسائل أخرى والسّياسة لا تنفصل عن الثّقافة وهذه جماع التجربة الذهنيّة للإنسانيّة ،أو بكلمة أخرى هي الحياة كاملة والأدب من الحياة يمتح ولها يعطي وبسبب من طبيعته هذه يرتبط بالأحداث ارتباطاً وثيقاً ..انّه أحد قطاعات النّشاط الفكري ،ومن ثم العمليّ للبشريّة القطّاع الذي تتجسد فيه بالكلمة صورتها وتتأرخ فنيا أحداثها لتؤدي في وظيفة التوصيل وظيفة أخرى، هي التّغيير وإلاّ كانت صورة ساكنة نردها إلى الذين منحوها ليروا فيها أنفسهم ،والنّاس لا يحتاجون إلى أن نرد لهم صورتهم كما هي ..بل أن نضيف إليها رؤيتنا المستقبليّة لها ،وبذلك نسهم معهم ومن خلال صورتهم في تغيير الصّورة ذاتها

في تلك العمليّة المعقّدة جدا عمليّة الحضور والانتقاء وولادة الجديد من القديم ،أو ما هو أحسن ممّا هو اسوأ

ثم إنّ الأدب، وهذه وظيفته يظلّ يفتقر إلى الوعي بها وإلى ممارستها إذا رعاها ويتحدد النّجاح في الممارسة بفهم الظّرف الذي تتم فيه وبالقدرة على امتلاك الصيغة الأدبيّة الملائمة لهذا الظرف وليس سواه

ففي السّلم يتفرغ الأدباء للفنّ وفي الحرب يتفرغ الأدب نفسه للحرب، يصير جزءاً منها وتعبيراً عنها أي يكون مقياسه الجماليّ ليس في درجة فنيته فقط ، بل في درجة صدقه وحرارته وقدرته على توصيل الحرارة بما تشتمل عليه من انفعال وعاطفة وحبّ وكره ورأفة وقسوة إلى الذين يتوجه إليهم ، وإلى الذين يهدف التّوصيل الأدبي تغيير صورتهم أو صورة ظروفهم على الأصح

الاعتراض المتوقّع على هذا الكلام ،مصدره الخشية أنّهم يخشون أن ينتهي مفعول الأدب المكتوب حول الحرب بانتهاء هذه الحرب وهي نفس الذريعة ، قديماً وحديثاً التي يوردونها حول أدب المناسبات وأنا أسأل : لماذا لم تنته قصيدة أبي تمام بانتهاء فتح عمورية ؟ ذلك أنّ فتح عمورية كانت له إضافة في التّاريخ ، كما كانت لقصيدة أبي تمام إضافة في الأدب ، وليس هذا مجال تقرير من يسّر الإضافة لمن ، فالملهم والملهم ، كلاهما يشتركان في صنع الإلهام الذي تكون له إضافة في التّراث الإبداعي.

وقصائد المتنبي في حروب سيف الدّولة لم تنته بانتهاء هذه الحروب ، كلاهما كانت له إضافته ، وكلاهما اشترك في صنعها ، وهذه القصائد كانت في مناسبات ، ولم يضارّ المتنبي ، منها ، بل كان ، في مناسباته ، أعظم شعراء عصره .

ولو سلّمنا ، جدلاً، بخوف الخائفين من المناسبات ، وانتهى ما يكتبون حول الحرب بانتهاء الحرب بالنّصر ، أفلا تكون الغاية مما كتبوه قد تحققت؟ أم أنّهم يبنون حساباتهم على خلود كتاباتهم ، [بأكثر ممّا يبنونها على انتصار أمّتهم ، إنّ أدباً من هذا النّوع لا يخلد ، لأنّه لا يكون صادقاً لكي يخلد ، ولا يكون سلاحاً في معركة ، لأنّ أسلحة المعركة من معدنها ذاته، فحين يكون القاريء في حرب لا يكترث أبداً بالكاتب الذي يتجاهلها ، وحين يكون في درجة معينة من الحرب ، لا يكترث بالكاتب الذي يكون على درجة متخلّفة منها ، فالقاريء يتطلب صورته في صورة قضاياه ، ويتطلب مساعفة كاتبه في تغيير صورته نحو الأفضل، وإذا لم يفعل الكاتب ذلك لا يصل إليه .. يكون قدس قط في باطل مقولة الكتابة لذاته ، أو الكتابة لمن يأتي بعده ، وهو يعرف أنّه لا يستطيع أن يقرأ ذاته، ولا يستطيع أن يكتب للكتبة أمثاله ، كما لا يستطيع أن يكتب لمن يأتي بعده ، لأنّ الزمن يبدّل الصورة ;> وكل عمل أدبيّ يتضمن صورة القاريء الموجه إليه أولاً ، ومن خلال هذا القاريء يتوجه الأدب إلى جميع القراء ، أي جميع البشر ، أمّا التوجه إلى النّاس الذين لن نراهم أبداً ، فإنّه يجعلنا نخسر معاصرينا ، ومن يأتون بعدنا ، ولن يكون من نتيجة لهذا اللهاث وراء الخلود في الآتي ، إلاّ الانتفاء في الحاضر ، ومن يكن لا شيء في عصره ، يكن لا شيء في العصور التي تليه ، فقيمتنا هي في تواجدنا في عصرنا ، في بيئتنا ، وكفاحنا في هذا العصر وهذه البيئة، وبذلك نكون جديرين بهما، ويكون أدبنا أدبهما ، وإضافته أضافتهما ، وهكذا نبرهن على أننا حقا أبناء عصرنا ، وأننا أحببناه بنكران ذات، ،افنينا أنفسنا فيه ولأجله .

في أيّام المحن وأيام النّضال لا يستطيع الكاتب أن يكتب على هواه ، كما لا يستطيع أن يعيش على هواه ، على الصّعيد العملي يلتزم كإنسان بأمته التي تحارب أو ستحارب ، وعلى صعيد الكلمة يلتزم بها أيضاً ويتبنى قضاياها ، ويدع ما يرضيه لما يرضيها ،وكما يحمل البندقية ، يحمل الكلمة ;> يريدها أن تكون النّار التي تشعل الفتيل ، والمهاد الذي عليه يعيش المحارب في الخط الأوّل.

أمّا أن يلهو عن ذلك كلّه ، وباسم الفنّ، بشكليات الفنّ ، ويدع التعبير ، متأثراً بتيارات في مجتمعات مخالفة ، وأن ينكفيء على الذّات ولا يرتبط بالخط النضالي ، فإنّه بذلك يحكم على نفسه بالتخلف والضمورة، وقد تخلّف هذا الأدب وضمر وشحب الآن ، ولن يبقى معافى من أدب ما بعد حزيران إلاّ ذاك الذي جاوز الأفق المسدود إلى الآفاق المترامية ، وتتبع بؤرة الضّوء عبر أكداس من الظّلمة .

وإذا كان النّضال الحقيقي ، القتال على خطوط النّار ، هو الذي أعاد للإنسان ثقته بذاته ، فقد كان من واجب الكلمة التي يطرحها الأديب أن تنهض هي بإعادة تلك الثقة .

إنّ حريّة الأديب لا تتعارض أبداً مع ارتباطه الصميمي بأمّته وقضاياها ، بل إنّ هذه الحريّة تصبح أوسع وأعمق بالارتباط بهذه القضايا، وبالتعبير عنها ، ونقل شعلتها من ذاته لتتأجج في مواطنيه، وله بعد ذلك أن يختار الأسلوب الذي يريد لقول ما يريد ، وبالأداة التي يختارها، شعراً، كانت أم نثراً مقالة أم قصة ، بحثاً أم رواية ، على أن يتسم عمله بقدرة كبيرة على التأثير في الآخرين ، وأن يشد أواصر المجتمع بخيط ملتهب قابل للانفجار عند الضرورة، وأن يعتمد إيقاظ الوعي والحماسة معاً ، وأن يكون فيه من العقلانيّة رصيد ،ومن اللهب رصيد، وأن يغني الإنسان وينمّي إرادته في التحرر والتحرير، وروح الفداء ، والتضحية ويجعل منه إنساناً بنّاء ، إنساناً حقيقياً ، ولعلّ هذا هو الهدف الذي يسعى إليه أدب الحرب ، أو أدب المعركة في ما أفهمه من هذه التسمية.

بقعة حبر

ثمّ ابتسمي لتشرين

رنا بدري سلوم

خمسون خريفاً تمرّ على نوافذ الوقت تفتح قريحته ذكرى الحرب والورد وثورة شعراء سكنوا عينيّكِ يا شآمُ كوردٍ تشرينيّ. خمسون عاماً مرّت على حرب تشرين التحريريّة وأقلامنا أعواد بخور تحرسكِ بأبجديّة الريّحان، خمسون عاماً ووجهكِ النضر يا شآم يبلسم الجرح، ولا نزال نشهر سيفكِ الدمشقي وننزفُ لأجلكِ حِبر الفنون ونغنّي «سوريّة يا حبيبتي أعدتِ لي هويّتي» منذ فجر ذاك التاريخ لنكون، فمن نحن إن لم تكنِ؟.

«علمينا» كما طالبكِ نزار قباني: فقه العروبة يا شآم.. فأنتِ البيان والتبيُن.. علمينا الأفعالَ قد ذَبَحَتْنا أحرفُ الجرّ والكلام العجينُ، علمينا قراءة البرق والرعد.. فنصفُ اللغات وحلٌ وطينٌ».

ها أنت يا شآم اليوم تعلمين العالم دروساً في الصمود والتضحية، فها هم شهداء حمص بالأمس يسطّرون بدمائهم آيات المجد والخلود، يعيدون ذكرى التحرير كي لا ننسى، وبالأمس أطلق الأقصى طوفانه في فلسطين علّم العالم دروس البطولة بدماء القلب، تتلعثم الحروف أمام انتصاراتِ الفجر التي لا تزال تسأل الله وتشهده الحقّ.

يا شآم.. مهما هبّت الرياح الهوجاء في حراكٍ مسموم، ومهما بلغت قوافل شهدائكِ قولي لكل من لا يفقه التاريخ ها هو تشرين يتحدّى الموت من جديد، وفي فلسطين يقاوم، والأرض في تشرين تتساقط أوراقها والأقنعة، وفي سماء تشرين يكبر وجه القمر، وفي تشريننا السوريّ يتقمّص النصر وجه الشّمس كي لا يعلن الغروب عنّي»ثم ابتسمي.. ابتسمي» فأحسن الوقتِ للهوى تشرينُ.

الإبداع والمواجهة

محمد خالد الخضر

الإبداع بكل أشكاله وأجناسه هو انفعال وجداني يعكس تعامل المبدع مع الواقع، هذا عندما يكون الإبداع مرتكزاً على موهبة حقيقية، والجماليات التي ترافق المعنى هي معارف وثقافات يكتسبها المبدع من خلال اطلاعاته وتعامله مع المجتمعات بمختلف أنواعها فالشاعر عندما يذهب إلى قصيدته يحمل معه أثر الانفعال الذي أثر بإحساسه وأخلاقه وبالتالي عندما يكون الشاعر متأثراً بما أحاط به يعني أنه بشكل بديهي إذا احتاج الأمر إلى الدفاع عن تراب أو كرامة .. من المفترض أن يكون في المقدمة وإلا هذا الإبداع لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وغير ذلك هي محاولات من المفترض أن تكون فاشلة إلى تحويل الشعر عن مساره الحقيقي الذي يحتم عليه أن يكون مناضلاً ومقاوماً إذا تعرض الشاعر إلى أي أذى يمس كرامته.

وهذا ينطبق على القاص والروائي والفنان والباحث وغيرهم من المبدعين الذين يجب أن يصوروا الواقع إلى أبنائهم وإلى أجيالهم القادمة وهذا ما فعله غسان كنفاني الذي كان شوكةً أو سيفاً يهدد المحتل والمغتصب فأقدموا على اغتياله برغم أنه خارج فلسطين ومثله أيضاً كمال ناصر وغيرهما .. ولا يخفى على أحد الأثر الثقافي والوجداني الذي تركه الفنان التشكيلي بلوحاته التي كانت في مقدمة الرسم الكاريكاتوري وهو ناجي العلي الذي ساهم بقتله أدباء عرب ومنهم فلسطينيون وخونة دعماً إلى الكيان الصهيوني وبالتالي إن تراجع الإبداع عن المواجهة سببه تقدم الأشكال المشوهة التي تدعي الإبداع وهي مرسومة ومدسوسة من الكيان الصهيوني وداعميه لتأخذ مكان الإبداع الحقيقي الذي يشكل رعباً إلى المحتل والمتآمر والغاصب .. وكلنا يرى في الساحة الثقافية على مستوى الوطن العربي ولا سيما خلال ما يدور من مؤامرات نتيجة الربيع العربي المزيف أن هناك ما يسمى بالهايكو وهناك سجع بدلاً من الشعر وهناك تسميات بدأت تتسرب إلى الثقافة العربية مثل فانتازيا بدل من الإبداع وبيولوجيا وسيكيولوجيا وانتربولوجيا وغيرها من المصطلحات التي لا يمكن أن تترك أثراً في وجدان المتلقي الذي كان ينبهر أمام حالة إبداعية تعكس الواقع .. وهذا ما اعتدنا عليه منذ أن بدأ الأدب فعله في عصر ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحديث مروراً بكل العصور التي وصلنا منها أدب حقيقي.

وهذا قول عنترة:

وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي رأس من يشكو الصداع
وهو يقصد عدوه في المعركة..

ولا يقل مستوى بيت الجواهري الذي قال فيه:

دمشق صبراً على البلوى فكم صهرت
سبائك الذهب الغالي فما احترقا

لذلك لا يمكن أن نعطي هوية انتمائية أو إبداعية لمن لا يكون مقاوماً ومواجهاً إذا نادته الأرض فمن الطبيعي أن يكون المبدع الحقيقي مواجهاً ومتطوعاً وغير متردد كما يفعل أو كما فعل كثيرون وهم الآن يعتبرون في المقدمة وهذه جريمة وطنية كبيرة.

إبداع عنصر فاعل في أيّ مواجهة

د. ياسر صيرفي:

لا شكّ في أنّنا عندما نضعُ مقاييسَ للأشياءِ أو نقيّمُها نقفُ عندَ قيمةِ تلك الأشياءِ فيما تقدّمُه أوّلاً، ومن ثَمّةَ نقفُ عندَ الظروفِ التي قُدّمتْ فيها تلك الأشياءُ، فعلى سبيلِ المثالِ عندَما يُقيمُ الإنسانُ شعائرَ العباداتِ في مجتمعٍ كلُه مواظبٌ عليها يكونُ الأمرُ طبيعيّاً أو على أعتابِ الطبيعيّ، أمّا أنْ يرسّخَ الإنسانُ قواعدَ العباداتِ قولاً وفعلاً في مجتمعٍ باتَ في منأًى عن هذه العباداتِ أو يكاد... عندَها نحكمُ علىَ ذلك الإنسانِ بالقوّةِ، وهنا نقصدُ عمليّةَ الإبداعِ، فالإبداعُ الذي يأتي في ظروفٍ ملائمةٍ ومستقرّةٍ يمكنُ أن تُكتبَ له سمةُ الإبداعِ، لكنّه لا يُوسَم بالإبداعِ المتميّزِ، في حين لو أتى الإبداعُ وتبلورَ بأجملِ صوره في ظلّ المواجهاتِ المَقيتةِ والظروفِ الصعبةِ فهنا تتسابقُ الألسُنُ لوصفِ ذلك العملِ «بالإبداعِ الفريدِ»، لأنّ أيّ عملٍ إبداعيّ أم غيرِه يحتاجُ لبيئةٍ حاضنةٍ تخلقُه ثمّ تنمّيه ثمّ تعرضُه على صفحةِ الواقعِ بأجملِ حللِ الإبداعِ، ولعلّ أجملَ صورِ الإبداعِ الذي يأتي في ظلِ ظروفِ المواجهةِ والصّعابِ ما قدّمَهُ وما يقدّمُه اليومَ الفلسطينيون المبدعون على الرّغمِ من كلّ ما يحيطُ بهم من ظروفٍ قاهرةٍ، فقد حافظوا بروحِهم الجبّارةِ على تراكماتِ الإبداعِ التي يحملونَها، ثمّ لم يلبثوا أنْ جعلُوها حصناً حصيناً يواجهون من خلاله ذلك الكيانَ الغاشمَ، وقد كيّفوا إبداعاتِهم إلى أن تبلورتْ وتكيّفتْ مع المواجهةِ التي يعيشونَها، فباتوا في خندقٍ واحدٍ مع المقاتلين، كلٌ بأسلوبِه وأدواته، فالإبداعُ بكلّ أشكالِه (شِعْر، فنّ، موسيقا، رسم) عنصرٌ فاعلٌ في أيّ مواجهةٍ، وربّما له السبقُ بها، فالمبدعُ عندما يسعى لنشرِ الإبداعِ يقفُ على ضفّةِ النقيضِ ويواجهُها، فهو ينشرُ الحبّ في عالمٍ سادَ فيه الكرهُ، ويرسمُ الجمالَ في دنيا القُبحِ والقَزَازةِ، وينشرُ السّلامَ في عالمِ الفوضى والقتلِ، فيبدعُ إبداعاً يفوقُ أيّ حدودٍ، وهنا تصدقُ مقولةُ: «الإبداعُ ينبعُ من رَحِمِ الألمِ والمُعاناةِ»، وعندها يبدو الإبداعِ أجملَ، وكلّنا ثقة بأنّ الإبداعَ كان في خندقِ المواجهةِ الأوّلِ، وسيعود كما كان سبّاقًا في تلك المواجهة.

أدب المقاومة ...روحٌ جديدة

حبيب الإبرهيم

تُشكّل الكلمة على اختلاف أنواعها وتجلياتها، أحد أهم أساليب وطرق المواجهة، إلى جانب الأساليب المختلفة والمعروفة للنضال والمقاومة لتحقيق الأهداف الكبيرة في التحرر والحريّة والاستقلال. وعندما تتعرض الأوطان للمخاطر، سواء الخارجية من استعمار أو احتلال أو مؤامرات، أو داخلية كالفتن والاضطرابات و...عندها يظهر تأثير ودور الكلمة في التوعية المجتمعية، وحشد الرأي الشعبي لنصرة قضايا الوطن والوقوف بقوة وصلابة إلى جانب أذرع النضال المتنوعة والتي تصب جميعها عند هدف كبير ..ألا وهو التحرر والحرية والاستقلال .. والقارىء للتاريخ يدرك جيداً دور الأدباء والمثقفين والفنانين والمبدعين في شتّى فنون الإبداع في تبني قضايا أوطانهم والدفاع عنها والتضحية في سبيلها، وهذا ما عُرف بالأدب الملتزم، والذي ظهر مع بدايات القرن العشرين، وتعرّض أقطار الوطن العربي للاستعمار والاحتلال ما دفع بالشعوب لمقاومة المحتل من خلال الثورات والكفاح المسلح، وقد نجحت حركات التحرر الوطنية في الوطن العربي في تحقيق أهدافها وطرد المحتل وتحقيق الاستقلال. لقد وظّف الأدباء فكرهم وإبداعهم وأقلامهم لتكون إلى جانب البندقية كسلاح مؤثر في معركة النضال، إيماناً منهم بدور الكلمة في نصرة القضيّة ونشر الحماسة والوعي وإظهار الحقائق من خلال القصائد الشعرية والمقالات والروايات التي تثير الحماسة وتؤرخ للنضال ضد الاستعمار والمحتلين وكشف ممارساتهم وجرائمهم بحق الشعوب التي تعاني الظلم والقهر والحرمان. ظهر أدب المقاومة مع نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وما نتج عنها من قتل ومجازر وتهجير ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات، فكان الكاتب والمناضل غسان كنفاني أول من جسّد هذه المقولة من خلال رواياته والتي تشرح معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال والتطلع للتحرير والعودة. كان كنفاني ثر الإنتاج رغم استشهاده المبكر، فقد كتب العديد من الأعمال الروائية: (عالم ليس لنا، أرض البرتقال الحزين، عائد إلى حيفا، جسر إلى الأبد، رجال في الشمس ؟ ما تبقى لكم، القميص المسروق) ولعلّ القراء من جيلنا -جيل الستينيات - يتذكرون قصة (حق لا يموت) لغسان كنفاني، والتي كانت مقررة في الصف الثاني الإعدادي (الثامن) في مناهج وزارة التربية، وهي مأخوذة عن روايته (أرض البرتقال الحزين). أما روايته الأكثر شهرة (عائد إلى حيفا) والتي تحولت إلى أكثر من عمل فني فقد جسدت مقاومة الاحتلال وحلم العودة إلى الديار وبيارت الليمون، ورواية (عائد إلى حيفا) والتي تُعد من أهم الروايات التي أرّخت للقضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال ومقاومته له لتحقيق حلم العودة والذي هو حق مشروع قدّم لأجله الشعب الفلسطيني التضحيات الجسام وما زال، إيماناً منه بأن الحق لا بد سيعود إلى أهله طال الزمان أم قصر. ومن الجدير ذكره أن رواية (عائد إلى حيفا) صدرت طبعتها الأولى في عام ١٩٦٩، وترجمت إلى العديد من اللغات منها اللغة اليابانية عام ١٩٦٩واللغتين الإنكليزية والروسية عام ١٩٧٤واللغة الفارسية عام ١٩٩١. ونظراً لأهمية الرواية فقد تم تحويلها إلى فيلم سينمائي عام ١٩٨١ يحمل نفس الاسم، وقد فاز بأربع جوائز عالمية،وفيلم (المتبقي) عام ١٩٩٤ المأخوذ عن رواية (عائد إلى حيفا) وهو من إنتاج إيراني سوري. كما تحوّلت الرواية إلى مسلسل تلفزيوني سوري للمخرج باسل الخطيب، يحمل نفس الاسم وقد لاقى عند عرضه جماهيرية واسعة وقدّم القضية الفلسطينية بكل أبعادها القومية والوطنية والنضالية والإنسانية. الأدب المقاوم ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالصراع العربي الصهيوني، ولعل الشعر كان في مقدمة من حمل لواء مقاومة المحتل وتاجيج الجماهير للثورة ضده وانتزاع حقوقه المشروعة وممارسة كل أنواع المقاومة لتحقيق ذلك وهذا ما نجده عند أهم شعراء المقاومة (توفيق زياد، سميح القاسم، محمود درويش،.....) وقد شكّلت قصائدهم أكثر اللوحات حيويةً وغنى ليس على الصعيد الفلسطيني فحسب، إنّما على الصعيد العربي بأكمله. لم ينقطع يوماً أثر الكلمة المقاومة، فهي مستمرة في وهجها كالشمس، هي انعكاس حقيقي لما يجري على الأرض العربية المحتلة في فلسطين والجولان وجنوب لبنان، حيث تستمر مسيرة العدوان والبطش والأرض المحروقة وزيادة آلام ومآسي الشعب العربي الذي عانى وما زال من سياسة القتل والهدم والتشريد التي يمارسها الكيان الصهيوني المغتصب في غزة و... واليوم تقف المقاومة وهي أكثر ثقة بقدراتها المادية والمعنوية وهي قاب قوسين أو أدنى من الانتصار .....إن طوفان الأقصى هو البداية، والطوفان الأكبر الذي يحرر الأرض ويطرد الغزاة قادم لا محالة طال الزمان أم قصُر.

وتر الكلام

وحدنا؟

سعاد زاهر

سيأتي موعدنا في القبة والصخرة
وتحت ظلال الزيتون ننتظر
أن يختفي العدا
فلسطين
موعدنا اليوم وغدا وأمس
وها نحن نطوف القدس
نبعد الضلال وننحني نقبل
الشهدا
قبل قليل كانوا يحتفون
في باحة المشفى
كانت تسمى المعمداني
ونحن نسميها ساحة الشهدا
ياويلتي سحقا لكل الأعادي
أطفال تسابقوا نحو الجنة
وقلوبنا تحترق
يقول الفلسطيني
نحن وحدنا
نشد بعضنا
كل من نبتت له أسوار
يحتمي بها من الردى
يدرك كيف أصبحت
تدار الحروب
وتصفعنا المجازر
تأبى الحجارة أن تأخذ طريقها
لأنها ليست انتفاضة حجارة
بل طوفان حول الأقصى
يا وجع السنين
يافلسطين
تصدعت أرواحنا
وأنتم تضيئون حولنا
شهبا تزحف نحو السماء
أسرابا
نتصفح كدبابة تأبى أن تنفجر
إلا في العدا
آه يا قدسنا
كم نفتقد أجراسك
دعواتنا لم تعد تكفي
من ينقذ الأبرياء، من يوقف الدماء
وأشلاء الضحايا
ونزف عدوان
يموت فيه البشر
بالمجان
يا وجع السنين
وحلم لاينتهي
وقضية
تتقدس إثر كل عدوان
ثم تهمل
في تخوم النسيان
يا طريق الآلام
ننتظر أن نحج إليك
ولن نضيع الطريق
سنعثر على كل
الشهداء
مزروعين
استجار الحق بهم
وانتصر

رأيت الله في غزةِ... وَجُرحُكِ صار مائدةَ المسيحِ

يوسف الخطيب *

لم تكن غزة في يوم من الأيام إلا بركاناً ثائراً
بوجه العدوان الصهيوني ..لم تسترح لحظة
واحدة ..لم تهادن..كل حبة رمل فيها تقاوم
وتروي ملاحم البطولة والفداء..
اليوم البطولات تكتب الملاحم وما أشبه الليلة
بالأمس عندما كانت الانتفاضة الأولى ١٩٨٧
كتب الشاعر الراحل يوسف الخطيب محلمته
الخالدة(رأيت الله في غزة)
ومازالت الملحمة وستبقى بهية ندية لأن غزة
تقاوم وكل فلسطين تقاوم يقول الخطيب:

حَليبُكِ في دَمِ الشهداءِ ساقيةٌ
تهيمُ على جهَاتِ الأرضِ
ثم تَصُبُّ في بحركْ
حَليبُكِ خمرُ داليَةٍ
يَعُبُّ كؤوسَها الندمانُ
ثم يكون من دمهم طلى ثغركْ
حَليبُكِ غيمةٌ بيضاءُ
تشربُ منكِ لونَ الجرحِ
ثم تغوصُ في صدركْ
ولَيلةَ أن بَرَحتُكِ
ضعتُ في الأحقافِ
أشردُ عنكِ في إثْركْ
وَعَدْتُكِ عند بستانِ القيامةِ
أسرجي فرسَ الصباحِ
وَجَنْحي الدنيا على قبركْ
هَبي أنّ النجومَ توارت الليلهْ
فتلكِ تُضيءُ فيكِ بنادقُ الثوارْ
هَبي أنْ شحّ منكِ الزيتُ في الشعله
فتلك صُدورهم دَفقَت نبيذَ النارْ
لأنكِ أنت - في واحد-
هي البستانُ ، والندمانُ ، والخمره
لأن جبينَكِ الماردْ
هو الثُّوارُ، والثوره
وقلبُكِ وردةٌ مشكوكةٌ في الرمحِ
وهو على أكُفّ غُزاتِه جمره
وأنت الآنَ مَكّةُ كُلِ قافلةٍ
وغارُ حراءِ كُلِّ نبي
وأنت الآن طيرُ البعثِ
يهبطُ معبدَ اللهب
يَحُطُّ قَتامَ هذا الليلِ
ينفخُ في قِرابِ السيفِ
روحَ الحرفِ
بين قبائلِ العربِ
وأنت الآنَ آمنةٌ
وأنتِ حليمةُ الصحراءْ
وَبَوْحُكِ صارَ جبريلَ القصيدِ
وسُورةَ الشعراءِ
وَجُرحُكِ صار مائدةَ المسيحِ
وزمزمَ الشهداءْ
وأعلمُ أنّ فوقَ الطُورِ
من خشبي، ومسماري
سأصعدُ فيكِ جَلجَلتي
وَبَعْدُ، يكونُني الإنسانْ
فَخَلّي بيننا وعداً
خِلالَ الليلِ، والبستانِ

وَجُزّي خُصلةً، من فوق خَدّكِ
نارَ تَذكارِ
ولو أني نَسيتُ إليكِ ما النسيان
وهاتي قبلةً لفمي
وهاكِ دمي
على شفتيكِ
لونَ شَقيقةِ النّعمانْ
لأني فيكِ غُصتُ غيابَةَ الحُبّ
وأصعدُ فيكِ طُورَ الحزنِ، والحبّ
وها أجراسُ قافلةٍ
تجيءُ إليّ عبرَ سفوحِ جِلْعادِ
فسوف أشيدُ مئذنتي
على بَوّابةِ السلطانْ
وأقرأ فيكِ، أدعيَتي، وأورادي
وأنشدُ فيكِ إنشادي:
أحبُّ حبيبتي يا ليلُ
خُذْ بَوْحي وأسراري
وتحت ربيعِ شُرفَتِها
فتحتُ جروحَ قيثاري
فناد عليّ كلَّ الحيّ
من عَسَس، وَسُمّارِ
يَظلُّ لديّ قبلَ الموتِ
قبلَ البعثِ
عُمْرُ فراشةِ النارِ
وَعُمْرُ قصيدةٍ تُتلى
وَأدعيةٍ
وَعُمْرُ عناقْ
وعندئذٍ، يُشَبّهُ للمدينةِ
أنْ وَصْلٌ اثنين
كان فراقْ
حَليبُكِ في دم الشهداءِ منكِ إليكِ
أنتِ وَ هُم خُلوصُ البحرِ في المُزْنِ
وأنتِ وَ هُم نشيدُ الحبِ والحزنِ
نهايَتُهُ بدايتُهُ على الكونِ
ونحن هنا - على الأحقافِ
مخبولون في مَسّ من الجنّ
فناديا، لعلكِ إن نفختِ الصُورَ
قد تَجدين شِبهَ القلبِ، والأُذْنِ
يَهيجُ بنا
وشِبهَ الدمعِ في العينِ
ونحن على أرائكنا
نَمُدُّ الآهَ تلْوَ الآهْ
ونُحيي للصباحِ ولائمَ العَرَقِ
ونغسلُ عارَنا بالعطرِ والدّبَقِ
ونحن هنا
نُعَمّرُ، من مجاعتنا، بيوتَ اللهْ
لكي ننساهُ بين خرائبِ الأقصى
لكي ننساه
ولكني صعدتُ إليهِ طُورَ سِنينَ،
رحتُ إليهِ حتى قِمّةِ المأساهْ
ويا قومي أُبَشّركم رأيتُ اللهْ
وكنتُ وكانت الأشياءْ
دُخاناً فوق وجهِ الغَمْرِ
وهو يُعيدُ خَلْقَ الكونِ من سيناءْ
رأيتُ اللهَ بين حرائقِ الحربِ

يَضُمُّ لصدرِهِ الدنيا
يَصُبُّ الغيمَ في النابالمِ
يطبعُ قبلةَ الحبِّ
رأيتُ اللهَ في غزه
يُؤَرجِحُ فوق نورِ ذراعِهِ طفلا
إلى أعلى
ويمسحُ في سكونِ الليلِ
أدمعَ أمّهِ الثكلى
رأيتُ اللهَ في الساحاتِ
يُغمِضُ أعينَ القتلى
ويَسقي في مدافنِهم
غصونَ الآسِ والدِّفلى
رأيتُ اللهَ يأتي الكوخَ والخيمهْ
يَزُقُّ صغارَهُ السَغبين باللُقمه
يطوفُ على شبابيكِ السجونِ
يُضيءُ فوق شفاههم بَسمهْ
رأيتُ اللهَ يَبْرَحُ قُبّةَ الجامعْ
ويَنزلُ في صدورِ المؤمنينَ
ويملأُ الشارعْ
رأيتُ اللهَ رُوحَ العزمِ في الناسِ
أمامَ سَريّةٍ يَمضي
ويكمنُ خلفَ متراسِ
رأيتُ اللهَ - وَجْهَ الشمسِ
فوقَ عَباءَةِ السُحُبِ
يَجيءُ مدينةَ الأبطالِ
يَسقي الأرضَ غيثَ الصبرِ
في جامٍ من الغضبِ
رأيتُ اللهَ يرفعُ من خَرائبِها
مَنارةَ كُلّ بَحّارِ
وها أنا فوق صدرِ اليَمّ
أمخُضُ مَوْجَ أقداري
وأسألُ عنكِ واغزاهُ
في مُقلِ النجومِ، ونَوْرسِ الصّاري
وأعلم أنّ ما بيني وبينكِ
أفْقَ أسوارِ
ولكني اعتليتُ إليكِ صهوةَ هِمّتي
وجُنونَ إصراري
وأنتِ البحرُ والبَحّارُ والمَرْسى
وَحُمّى الأهلِ والدارِ
ومنكِ، إليكِ، أسفاري
وها أنا في عُبابِ اليَمّ
يسألني نزيفُ جبينِكِ المصلوبِ
إكليلاً من الغارِ

ولكن آه لو تدرينَ
ذاكَ العامَ لم نَفْلَح مواسِمَنا
وكلُّ حَصادِنا الصّيفيّ
كان طحالبَ العارِ
وأنتِ، على بَهيمِ الليلِ
وَحْدَكِ كنتِ داليَةَ الصباحِ
وكنتِ أغنيةً من النارِ
أرَدّدُها على سَوْطِ الخليفةِ
آه أحدسُ يا ملاكَ الموتِ
من سيكونُ زُوّاري
أحِسُ حفيفَ أجنحةٍ

تُحَلّقُ فوق أسراري
ونحنُ، على أرائكنا
نَمُدُّ الآهَ تلْوَ الآه
ونُحيي، للصباحِ، ولائمَ العَرَقِ
وأنتِ، هناكَ
يشمخُ فيكِ وجهُ اللهْ
وجرحُكِ ريشةُ الشَفَقِ
وأنتِ جزيرتي
وأنا إليكِ سفينةُ الأُفُقِ
وأنتِ قصيدتي
وأنا نزيفُ الحبرِ في الوَرَقِ
وأنتِ عناقُ أخْيلَتي
وأنتِ قلادةُ العُنُقِ
وثغرُكِ حَبّتا كَرَزٍ
وعِطرُكِ غابتا حَبَقِ
وصدرُكِ جَرّتا عَسَلٍ
وشَعْرُكِ نَخْلَتا عَذَقِ
ونام على يديكِ الدهرُ
نام البحرُ
واستيقظتِ فوق وسادةِ الأَرَقِ
لأنكِ أنتِ صقرُ قُريشنا
وَبقيّةُ الرّمَقِ
لأنكِ أنتِ آخرُ رايةٍ لم تَهْوِ
فاصطفقي
لأنكِ أنتِ طيرُ البعثِ
فاحترقي
وَعَبْرَ رمادكِ انبثقي
حَليبُكِ في دم الشهداءِ
داليةٌ تذوبُ على لَظى ثَغركْ
وهم ساقُوكِ، حتى الصبحِ
ما شربوهُ من خَمركْ
وأنتِ وَ هُم عِناقُ الموجِ والرملِ
وأنتِ وَ هُم مِزاجُ الدمعِ والكُحلِ
وأنتِ وَ هُم بلا أهلِ
بلا أهلِ
بلا أهلِ
فَشُقّي ثوبَكِ العربيّ عن سِتْركْ
ودُقّي صدرَكِ المَسْبيّ في الليلِ
وناديا بأعلى الطُورِ
نَسهرُ ليلةَ البستانِ في حِجركْ
لأنّ هناك وَعْدَ الصبحِ
ينهضُ من دُجى قبركْ

* اختيار الأستاذ ديب علي حسن

صرخة حياة

ياسمين درويش

لطالما كانت الفنون على اختلاف أنواعها باباً للترفيه، والترويح عن النفوس المتعبة... فالموسيقا تزيل التعب والإرهاق النفسي، والمطالعة أو متابعة الدراما تنسي الإنسان متاعبه اليومية فهي تعرض التجارب الإنسانية بطريقة ممتعة، وكذلك فإن الفنون كانت ولا تزال تستنهض الهمم وتثير الحمية لمواجهة الأعداء على مر الأزمان والعصور، ولاتزال الأبيات الشعرية التي كانت بمثابة صيحات في وجه المحتل العثماني تتردد في بيوتنا وعلى ألسنة أبنائنا، فمن منا لا يحفظ بيت الشعر الذي كتبه إبراهيم اليازجي: تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب، ولازلنا نطرب لسماع أغنية (زينوا المرجة) التي تعيد لأذهاننا حادثة إعدام العثماني المحتل لخيرة شبابنا في يوم السادس من أيار في ساحة المرجة بدمشق، لتتحول الأغنية إلى صيحة في وجه معتد باء بالفشل، فالأغنيات والأهازيج الوطنية تدخل قلوبنا قبل آذاننا، وتسكن أرواحنا قبل عقولنا وتعزف لحن حب الوطن ليس لأنه واجب علينا وفرض من فروضنا، ولكن حب الوطن صون لكرامتنا وإثبات لوجودنا، ومن منا لا يذكر ذاك الصباح الربيعي المشمس، يوم أوقظنا صوت فيروز المتسلسل إلينا عبر نوافذنا التي شرعت يومها للنصر، على وقع أغنية (إسوارة العروس) لنسمع الخبر البهي ألا وهو تحرير الجنوب اللبناني، فترتبط تلك الأغنية بفكرة مفادها أن النصر سيكون حليف كل مناضل مهما طال الزمن، فتكون الأغنية حافزاً لنا لمواصلة النضال إثر كل كبوة أو فتور، ومن منا لا يشعر بنشوة الانتصار حال سماعه لأغنية (خلي السلاح صاحي) فمرور الزمان وتعاقب الأجيال لم ينل من جمال الأغنية وسحرها، ولا أحد يستطيع أن يهرب من دموعه حال سماعه لأغنية (أصبح عندي الآن بندقية) ...ليعتنق المقولة التي تختتم بها الراحلة أم كلثوم أغنيتها بصوتها الشجي (بارودتي صارت هي القضية)، وفي العقد الأخير من قرننا هذا لعبت الأفلام السينمائية دوراً كبيراً لإبراز حقيقة ما دار في وطننا الحبيب من أحداث مؤلمة، دحضت الكثير من الأكاذيب المتداولة في بعض المجالات الإعلامية، ومن تلك الأفلام (دم النخل) و (رد القضاء) وغيرها من الأفلام الهادفة، ولا ننكر أهمية الأفلام التي ظهرت في ثمانينات وتسعينيات القرن العشرين التي تناولت مراحل مهمة من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ومنها (فيلم ناجي العلي) و(مهمة في تل أبيب) و (الطريق إلى إيلات) إذا فالإرث الإبداعي الذي تركه لنا المبدعون من أغانٍ جميلة وقصائد رائعة وقصص هادفة لا تزال تستنهضنا وتقوي عقيدتنا النضالية حتى يومنا هذا، وكذلك فإن العديد من المسلسلات الدرامية ظهرت في الآونة الأخيرة كانت خير مؤنس لنا في الأيام الصعبة التي مررنا بها فكنا بأمس الحاجة لمتابعة دراما هادفة تلامس أوجاعنا وتحاكي همومنا وتداوي آهاتنا، كذلك فإن المبدعين في زمننا هذا قدموا أجمل الأغاني والألحان والقصائد الشعرية التي كانت ولا تزال تحثنا على متابعة النضال.

زاوية حادة..

عودة الروح ..

د.ح

ليس المقصود أبداً بهذا العنوان كتاب توفيق الحكيم الشهير (عودة الروح ولا كتابه الثاني عودة الوعي).

وإن كان العنوان قد تطابق مع الكتاب بل أعني عودة الروح الوطنية والقومية والحماس الذي انتفض من تحت الرماد واشتعل الجمرالذي كنا نظن أنه قد ترمد.

ما يجري على أرض فلسطين أثبت أن الروح الوطنية والقومية لدى الأجيال الشابة ماتزال بخير.. بل يمكن القول بثقة أنها تتجذر أكثر فأكثر.

ومقولة : بلاد العرب أوطاني حقيقة لا تشوبها شائبة ..من الشام إلى بغدان فتطوان كل شبر من الوطن العربي هو وطننا جميعاً وكل حبة تراب هي فلسطين والجولان وجنوب لبنان وسيناء.

جذوة اليقظة تتقد علينا جميعاً أن نحرس هذا الاتقاد وأن نعطيه المزيد من القوة والدعم وألا نتركه في مهب الريح ليكون مرحلة عابرة وآنية ..

لابد من عمل منظم فكرياً واجتماعياً وثقافياً والمساهمة من المؤسسات المعنية بتوجيه طاقات الشباب والأخذ بها نحو المصالح الوطنية والقومية والعليا وألا تترك عرضة للتلاعب بها كما حدث من قبل وكانت الأثمان غالية.

طوفانٌ جديد

هيلانة عطاالله

يا بنتَ مِلْحِ الصبْرِ واسمُكِ غزّةٌ
يا أختَ بحرٍ ضاقَ فيهِ المعبرُ
ضربوا الحِصارَ على (غلافِكِ) فانبرتْ
لُغَةُ القذائفِ بالطفولةِ تغدُرُ
يا ويحَ قلبي كيف طارتْ مهجةٌ
كاللازوردِ بنجمةٍ تتكوّرُ
والأقربونَ ثعالبٌ بجحورِهم
لاذوا بصمتٍ والوحيدةُ تُنذِرُ
أنتِ الفريدةُ فاسخَري من عارِهم
جُنْدُ السماءِ إلى نِداكِ تقاطروا

قومي و(طوفانُ) الأشاوسِ عارمٌ
بِسِواهُ لا نصرٌ لديكِ مُؤزّرُ
غرسوا البطولةَ في ثراكِ وعانقوا
أرواحَ مَنْ غابوا بطُهْرٍ أزهروا
في موكبِ الشهداءِ معراجٌ سرى
فتحوا الطريقَ إلى السماءِ وكبّروا
زغرودةُ الصاروخِ أبلَغُ آيةً
ببَيانِها ما لم يَقُلْهُ شُوَيعِرُ
تشرينُ عادَ ومِنْ دمشقَ مُيَمّماً

شطْرَ البطولةِ يا أيام استبشِروا
طفلٌ بغزّةَ طاولَتْ أكتافُهُ
صِيدَ الرجالِ وبالغُزاةِ يزمجِرُ
طوبى لهُ ولأمّهِ الثكلى فلا
دمعٌ همى ، بل مهجةٌ تتحسّرُ
خشَعَ اليراعُ على طهارةِ ثوبِها
وعلى يديها فاضَ حِبرٌ أحمرُ
بطفولتي قد أخبرَتْني جَدّتي
وهي التي بالحقِّ كانتْ تُجهِرُ :
عن (ناصريٍّ) جاءَ يوماً هادِياً

قوماً طغَوْا ، فتكبّروا وتجبّروا
فدعا عليهِم (بالشّتاتِ) ونسْلُهمْ
مُذْ ذاكَ لا وطنٌ لهم أو معبرُ
عجباً ! فكيف عَصَوْا قضاءَ اللهِ إذْ
مثلَ الجرادِ على الحقولِ تكاثروا
إنّا لهمْ ، وغدٌ لنا ، وبقدسِنا
فلينظروا ، ستهبُّ ريحٌ صرصرُ
سِرّي فلولَهُمُ الشّتاتَ ونرتقي
كالسنديانِ (بقدْسِنا) نتجذّرُ

ومضات وأدب الذكريات

حسين صقر

كثيرون هم من كتبوا عن الماضي، ودونوا مذكراتهم، لما يعتلجهم من حنين للمكان والزمان والأحداث والأشخاص، وحتى التفاصيل الصغيرة من حيواتهم، كيف لا ؟! والذكريات هي قطار العمر الذي يتجول في ثنايا الروح والفكر ويجوب مسافات الفرح والسعادة حيناً، والهموم والآلام والحنين حيناً آخر، و الذكريات أيضاً سفينة النجاة التي تبحر في أعماق الذات ونسج العقل المحمل بأحداث الماضي البعيد أو القريب يسترجعها الإنسان تلقائياً عندما يحتاجها.
والذكرى لغوياً ما تستحضره الذاكرة لتقوده إلى اللسان، وتكون طلقته الكلمة ليبقى راسخاً في أذهان المستمع والقارئ، وبالتالي فأدبها تدوين لما حفظته ذاكرة الكاتب من ماضيه أو ماضي من تربطه بهم علاقة، أو تدوين حدث ترك فيه أثراً بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
و الكاتب إذا سجل أحداث حياته بصورة منتظمة، ولفترة طويلة يتحول ذلك بشكل آلي إلى يوميات، وعندها لا يستطيع الخلود إلى النوم قبل أن يستعرض شريط الأحداث التي مرت معه طوال ذلك اليوم، وحيناً بعد حين تتحول تلك الذكريات لتصبح جزءًا من سيرته الذاتية.
وبالعودة لمن كتبوا في الذكريات هم شعراء المهجر، والذين لاتزال أشعارهم وكلماتهم تتربع على عرش الذاكرة، ولعل ما قاله الشاعر شفيق معلوف في لحظات وداع المهاجرين له أبلغ الأثر عند وداع أي عزيز: مناديل من ودّعت يخفقن فوقهم ..فلا ترهقيهم يا سفين وأقلعي.
بعدن فغشّاهنّ دمعي كأنّني أراهنّ من خلف الزجاج المصدع أو ما تذكره الشاعر القروي حين رأى حبات الثلج تتساقط على زجاج غرفته في المهجر وأنشد يقول: ياثلج قد ذكرتني أمي..أيام تقضي الليل في همي
مشغوفة تحار في ضمي..تحنو علي مخافة البرد.
والأمثلة طبعاً كثيرة ولا مجال لذكرها، إنما الذكر لأهمية هذا الأدب في النفوس، والبصمة التي يتركها على وريقات الزمن،
و أدب الذكريات يعتمد حيناً أسلوب السرد بصيغة المتكلم على غرار أسلوبي السيرة الذاتية واليوميات، وفي موقع آخر يعبر عنه الأديب بجنس آخر قد يكون شعراً أو نثراً وقد يكون تأريخاً موجزاً فقط للأحداث.
و الطريقة مهما كانت، يحكمها موضوع الجرأة في بث الشجون.
بمعنى أن يكتب أديب سيرته يعني أن ينكشف، أن يبدع في فن هذه الكتابة، أن يسرد عن نفسه بشجاعة ووضوح، فلا يُخفي ما يخشى منه «أدب السيرة» بين سرد الذكريات، ليصل بذاته إلى الآخرين، ويحقق المتعة والفائدة للقارئ من ناحية ثانية، حيث بإمكانه تقديم قصة حصلت معه ليوصل معلومة أو موعظة أو هدفاً أو يوصل إحساساً أو شعوراً له.
فأدب الذكرى غالباً ما يفوح كالعطر من وردة في حديقة، وينبجس من أصحاب المشاعر المرهفة والجياشة، والقلوب الدافئة والنقية والذين يرتبطون بالماضي ليستمدوا منه العبر، وجل من نراهم يكتبون عن الماضي هم الحريصون على بقاء العلاقات الاجتماعية الأصيلة، فتراهم يشتاقون للمنزل الذي نشأوا فيه والحي الذي ترعرعوا بين جنباته، والمدرسة التي تلقوا فيها الحروف الأولى.
وكاتبو الذكريات قد تشتعل في داخلهم قصص الحب الأولى، والمعرفة الأولى والصداقة والمصادفة الأولى، وتراهم ينشدون الكتابة عنها والتدوين والتعبير عما يعتلج في نفوسهم، مع حرصهم أن تكون تلك الذكريات جميلة، لأن أحداث اليوم ستصبح غداً ذكرى، وهكذا.
فأدب الذكريات يعبر بشكل واضح عن سلوك الشخص ويعطي صورة عنه، ويعرف به، ولاسيما إذا كان من يطرحه صادقاً مع ذاته، ولهذا عندما نقرأه تنجلي صورة صاحبه أمامنا، ونستطيع فهمها ورسمها وتخيلها حتى لو لم نلتقيه في الواقع، حيث من يكتب هو الروح، وهي الأقدر على اجتياز الحدود و المسافات.

القمر والصمت

حسن إبراهيم أحمد

الصمت مرفوض عندما لا يكون خياراً. وعندما يتم اللجوء إليه، قد لا يكون هو الخيار المفضل.

لكن متى يكون الصمت خياراً صائباً، ومتى يكون كرهاً مكروهاً؟ متى يكون خياراً أو ثقافة، وقد كتبنا في (الموقف الأدبي) تحت عنوان « الصمت ثقافة»؟ ومتى لا يصح أن يكون هو الملاذ باعتبار أن الإنسان « كائن ناطق» وقد تعددت أشكال وطرائق النطق وأدواته وأساليبه؟ وهل تمتع الإنسان دون غيره من المخلوقات بميزة النطق والإفصاح، ليقرر في لحظة ما تعطيلها، أم أنه يعطلها مكرهاً؟

قالوا « مقتل المرء تحت طيات لسانه» أو «بين فكيه». ولطالما أوردت الألسنة أصحابها الهلاك. بالتالي، فإما أن يكون العقل هو المرشد للكلام أو للصمت، أو لا ضمان للنتائج. والعملية رهن الثقافة والنظم السائدة في المجتمعات، ومدى احترام الرأي والرأي الآخر.

حفيدي البالغ من العمر سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام، اتخذ مجلسه بين يدي مساء على شرفة المنزل، وهو قليلاً ما يهدأ أو يسكت، أشار إلى القمر في كبد السماء بفرح، وهو يطلب النظر إليه دوماً، وعندما لا يراه يقول «نام» وكذلك يقول عن الشمس عند غيابها. قلت له ما رأيك أن نصعد إلى القمر؟ فابتهج موافقاً، ثم بدأنا معاً نبحث في كيفية حصول ذلك. قلت له: نبني درجاً إليه، فوافق. ثم قلت له نضع السلم المركون قرب المنزل ونصعد بواسطته، فوافق. قلت ما رأيك أن نطلب من الحمامة أن تعطينا أجنحتها نطير بها إليه؟ فوافق. ثم قلت لماذا لا نركب إحدى الطائرات التي نراها في الجو لتأخذنا إليه؟ فأعجبته الفكرة. وهكذا كان يدور حديث السمر بيننا، وكان فرحاً، وعند كل رأي يحاول إفهام أبيه وأمه وجدته وعمه الذين طلب أن نأخذهم معنا. وعندما عرضت عليه شخصاً يعرفه لصداقته مع أبيه ويلعب معه ويحبه، انتفض رافضاً، فسألته: لماذا لا تريد أن يصحبنا وهو صديقك؟ قال: «سكوت» أي أن هذا الشخص قال له مرّة « اسكت» عندما كان يصدر أصواتاً صاخبة.

قال له ذلك مداعباً ويستزيده من اللعب والأصوات، لكنه بعد ذلك كلما أراد أن يعبر عن رفضه لطلب شخص ما يقول « سكوت» أي إنه قال له: اسكت، أي قمعه. وهو عندما سمع هذا الأمر بكى كثيراً دون أن يهدئه تدخلنا. وعجبنا من تأثير ذلك عليه إلى هذا الحد.

لم ينتج موقفه عن عقل وتحليل، إنما عن اعتراض فرحه الصاخب دون دراية أو وعي بأبعاد أمر السكوت، وهو يعبر تعبيراً طفلياً. لكن، إذا كان هذا الطفل رافضاً للقمع والإسكات، أفلا يكون ذلك تعبير الفطرة الإنسانية الذي يجب ألا يتعرض للضغوط، ومطلباً من مطالب الحرية بالتعبير عما يريد، وهكذا تعد الحياة صاحبها منذ بدايتها؟!

كيف فهم هذا الطفل - وربما غيره من الأطفال- أن هناك اعتداء على حريته عندما طلب إليه أن يسكت؟ والسؤال الأهم: كيف تتشكل القناعة بالسكوت عند الناس، حتى لو لم يطلب إليهم ذلك مباشرة؟ وما مستوى العدوان على الحياة والحرية عند الإسكات القسري؟

عندما يطلب من الصغار السكوت في مجالس الكبار، أو يتم إبعادهم عن مجالسهم الجادة، يكون ذلك تلقيناً للدروس الأولى التي عليهم فهمها وممارستها استبعاداً للوم والتقريع، أو ما لا يستحب من النتائج. هكذا تعلم البيوت صغارها، والمدارس تلاميذها، وأبناء العائلات، صوناً لحرية ودور الآباء القادة والمعلمين والشيوخ الكبار ممن يوصفون بالحكمة والدراية. ويكون سكوت الصغار خلقاً طيباً وحسن تربية.

هنا يكون التلقين ذو أهمية « إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» ودائماً يتم تحذير من يعلنون مواقف مغايرة أو يقولون ما يشي برفض أو انتقاص إرادة عليا، بأن ألسنتهم ستوردهم المهالك.

عندما تتمكن آلية السكوت والإسكات، وعدم الخوض فيما يجلب غضب الجهات الفاعلة في العائلة أو العشيرة أو الحزب والجماعة التي أصبح لها صورة القبيلة والعشيرة، كما تخترقها آليات نشاطهما، ماذا ستكون النتيجة غير احتكار الرأي وإغفال ما يريده من يحتكر الدور؟

لماذا يكون الصغار رافضين بقوة لكل ما يقيد حريتهم ويمنعهم من التعبير عما يريدون، وعندما يكبرون حيث يفترض أن يزدادوا قوة وصلابة، نجدهم يرضخون للأوامر بالسكوت، من اية جهة جاءت هذه الأوامر، اجتماعية، سياسية، عقدية.... الخ؟

حزين من أجلك يا حفيدي، ومن أجل كل الأحفاد الذين نربيهم على قيم السكوت والطاعة دون تبصر بما سنورثكم إياه، عن قصد ودراية، لأننا نظن به السلامة، كما لم نتعلم غيره، ونجده خير مخرج وقارب النجاة من شططنا في الكلام انسجاماً مع ما تبقى في دواخلنا من مشاعر، وفي زوايا عقولنا التي أظلمت، وشعوري بالحزن هذا هو على نفسي أولاً، وعلى كل من استسلموا لمنطق العشيرة والقبيلة والطائفة...الخ.

وحزني ثانياً لأننا لم نهتد إلى ما اهتدت إليه الشعوب التي تقدمت وتتقدم، ولم نحصل على فوائد من تجاربها في مختلف المجالات وأهمها الصدق في أداء الأدوار وحذقها، من أرفعها إلى أدناها. بالتالي لم نحسن نقل ذلك إلى أطفالنا وأجيالنا اللاحقة..

حزين لأننا نفتقد المشاريع الطفلية وصدقها وبراءتها عندما نكبر، مع أنها مشاريع لها جدارتها، لماذا لا تنعكس الآية ونتعلم من الصغار كما نعلمهم؟ كيف ننسى عالم البراءة كما ننسى أن نبقى صغاراً؟

إننا نفتقد التفكير بالمشاريع النوعية والكبيرة، والتي بدونها لا يكون تقدم البلدان. غاية ما نطمح إليه الاستسلام للعمل السهل والفكر السهل، والسهولة تعني الضحالة، وتعني عند الكثيرين عدم الإقدام. ومنذ عشرات السنين كنت أتساءل: لماذا نقول عند الخروج من بيوتنا إننا ذاهبون إلى الدوام، ولا نقول إلى العمل، لأننا لا نجد العظمة إلا في قضاء الوقت دون عمل، مع علمنا أن الأوطان لا تتقدم إلا بالعمل؟ ونعبر عن قيمة وأهمية الأعمال التي توكل إلينا ونتقاضى عنها أجراً، أنها سهلة، أو غير متعبة، بل إننا نتسلى فيها. والتسلية مؤسفة مثل السكوت عندما تكون المصالح الوطنية هي الضحية.

هناك خوف مزروع فينا، ينمو وينمو، ننميه بإصرار، هو الخوف من كل جديد، ومن كل أمر يتطلب جهداً وجلداً. من مشاقة أهل جلدتنا، من كل صاحب موقع أو سلطة، حتى وإن كانت سلطته تفرض عليه مساعدتنا لا إخافتنا.

كتبت يوماً «الخروج من ثقافة الترادف» (الموقف الأدبي) والصغير يترادف على أبيه، والضعيف على القوي، والتقليد مستمر دون تقدير الضرر. فالجميع يترادفون على زعاماتهم من رب العائلة إلى شيخ العشيرة والجماعة. ومثل ذلك في عالم السياسة.

كيف تستقيم قيم الحرية مع قيم الطاعة بالمطلق؟ ثقافة الترادف تأتي من الرديف الذي يختفي وراء راكب الدابة الأول. وفي الجيوش يقتضي الاصطفاف أن يختفي التالي وراء الأول فلا يظهر سوى من هم في المقدمة.

هكذا تكتمل حبكة المشهد، مثلما يكتمل الاستسلام والتسليم بفقدان حرية التعبير الذي لم يدركه الطفل الصغير فرفضه. الأهم في الأمر أن يستمر ذلك في العقول ويكبر ويكبر كلما زاد عمر الطفل، حتى إذا أصبح كبيراً أصبح بلا حرية، بلا إرادة. حفاظاً على الحياة المستقيمة.

ليس هناك أكثر خداعاً وأذية من الصمت على الأخطاء والسلبيات في حياتنا الاجتماعية والسياسية والعقدية، كي نبرز مدى الهدوء والطمأنينة والانسجام في الكيان الذي يسود فيه الصمت المجرم، والذي غالباً ما تحصد عواقبه الوخيمة مستقبلاً. ودائماً من مهمة العقل والعاقلين معرفة ذلك ومحاربته. بل من المهمات الجليلة استبعاد القباحات ونفيها، مثلما من الواجب تمكين القيم الجميلة والجليلة.

لماذا يسود الاعتقاد أن الهدوء الساكت هو عنوان النجاح. وهو الدليل على العقلانية والوطنية والوعي الرفيع؟!

إن الوطنية الرفيعة، والفاعلية الاجتماعية الإيجابية داخل أية جماعة، تنتج عن قلق العقل، أي توقده وعدم الاستسلام أو الركون لما لا ينسجم مع قيمه، وما من شك أن هذا هو الطريق الذي سلكته كل الشعوب التي نجحت في الانتقال إلى واقع أفضل وفعلت ما يتوجب عليها بإيمان والتزام.ﷺ

أخيراً، إننا نحلم بمن يستطيع إخراجنا من حال الإعاقة إلى حال الفاعلية بعد أن ظهر فشل تيارات واتجاهات بارزة على مستوى العروبة بكاملها. وأيها لم يفشل حتى اليوم؟!

من العالم

الأدب العالمي ... مفهومه وقضاياه

جودت هوشيار

ما الأدب العالمي ؟ وهل ثمة مضمون حقيقي لهذا المفهوم ؟ قد يتصور البعض أن النتاج الأدبي الرائج في بلد ما، والذي يترجم بعد فترة وجيزة إلى عدد من اللغات الأجنبية يدخل على الفور إلى الرصيد الذهبي للأدب العالمي، وهذا وهم وقع فيه كثير من المبدعين والنقاد في بلادنا. المسألة ليست بهذه البساطة، بل أعقد من ذلك بكثير، وهي مثار جدل بين الباحثين الغربيين منذ عشرات السنين ولم تحسم حتى يومنا هذا.

ورد مصطلح «الأدب العالمي» لأول مرة على لسان غوتة، الذي قال خلال حديث مع صديقه ايكرمان في العام ١٨٢٧: «أنا مقتنع بأن أدباً عالمياً أخذ يتشكل، وأن جميع الأمم تميل إلى هذا .. إننا ندخل الآن عصر الأدب العالمي .وعلينا جميعاً الإسهام في تسريع ظهور هذا العصر». وفيما بعد عاد غوتة أكثر من مرة إلى تناول هذه المسألة.

ولكن ولادة هذا المصطلح لم يأت من فراغ، فقد كان دانتي قد أشار في دراسة له بعنوان «حول الملكية» إلى وجود حركة ثقافية عالمية، كما تحدث العديد من المفكرين والفلاسفة والأدباء الألمان والفرنسيين عن التجربة الإنسانية المشتركة. تحدث شيللر عن مفهوم «التاريخ العالمي» وهيجل عن مفهوم «الروح العالمية»

نظر شيلر إلى عصره (القرن الثامن عشر) كبداية لتمازج الأمم المختلفة في مجتمع إنساني واحد واعتبر نفسه مواطناً عالمياً .وقد أثرى ممثلو الرومانسية (بايرون، شيلي، وكيتس، وورد زورث) مفهوم «الأدب العالمي» . وتعزز هذا المفهوم وتعمق في القرن العشرين، عندما توسعت الاتصالات الأدبية بين الأمم، وبدا واضحاً وقائع التأثير المتبادل، والتماثل الطوبولوجي في العملية الثقافية على مستوى العالم.

على مدى زمن طويل، كان ثمة محيط خاص ولغة خاصة للأدب العالمي. أما الآداب المدونة باللغات القومية فقد كانت تحتل مواقع هامشية. وكانت اللغة اللاتينية وريثة شرعية لجدة أغنى هي اللغة اليونانية، التي كانت بدورها وعبر عهود طويلة تقوم بدور اللغة الأدبية العالمية. وكان مفهوم الأدب العالمي بالنسبة إلى اللغتين اليونانية واللاتينية يعني المظاهر الروحية ذاتها التي ينطوي عليها مصطلح«الأدب العالمي» اليوم.

مفهوم الأدب العالمي

مصطلح الأدب العالمي، يتسم بالغموض، وليس له تعريف محدد أو مفهوم واضح متفق عليه بين الباحثين.. ولو راجعنا الموسوعات العالمية بحثاً عن مفهوم هذا المصطلح، لوجدنا اختلافاً كبيراً بين موسوعة وأخرى. ومع ذلك يمكن القول إن ثمة أربعة تفسيرات أساسية لهذا المفهوم وهي:

الأول: المحصلة الكمية للآداب القومية لكافة الشعوب طوال التأريخ البشري، بصرف النظر عن المستوى الفني والجمالي لنتاجاتها. بيد أن هذا التعريف يجعل من الأدب العالمي شيئاً غامضاً وفضفاضاً، لا يمكن حصره ويصعب دراسته.

الثاني: جماع النماذج الإبداعية المختارة، التي ابتدعتها البشرية بأسرها. وبهذا المعنى فإن مفهوم الأدب العالمي لا يشمل النتاجات متوسطة القيمة أو الظواهر السطحية الشائعة في الآداب القومية، وإنما يقتصر على الآثار الإبداعية ذات القيمة الفنية والجمالية العالية. ولكن ها هنا تنهض مسألة أخرى: هل يمكن القول إن الأعمال الأدبية الرفيعة لكافة شعوب الأرض تنتمي إلى الأدب العالمي. يرى بعض الباحثين الأوروبيين، أن الأدب الأوروبي الكلاسيكي والمعاصر هو الذي يمثل الأدب العالمي. وأنصار هذا الرأي لا يتحدثون عن أوروبا كمفهوم جغرافي، بل يتصورونها كمفهوم روحي. وهذا يعني بالضرورة أن الأدب العالمي هو الأدب المشبّع بـ«الروح الأوروبية» وأن هذا الأدب لا يمكن تمثله إلا من خلال منظور الثقافة الأوروبية. وهذه وجهة نظر أوروبية ضيقة. ويرى هؤلاء أن آداب الشعوب الشرقية تقع خارج نطاق الأدب العالمي، لأن نتاجاتها لم تصبح بعد في متناول أيدي البشرية بأسرها. ويرى البعض الآخر منهم إن الآداب (الهمجية) الغريبة لا تنتمي إلى الأدب العالمي. ويدعو إلى نبذ الفلكلور وطرحه خارج نطاق روائع الأدب العالمي. ولا شك أن مثل هذه المزاعم مرفوضة تماماً. صحيح أن الفلكلور لا يدخل في الأدب العالمي على نحو مباشر، ولكن مما لا ريب فيه أن شعراء مثل هايني وبيرنس ويسينين قد ترعرعوا فوق تربة الفولكلور وأن نتاجاتهم جزء من الأدب العالمي.

الثالث: عملية التأثير والإثراء المتبادل للآداب القومية، والتي تظهر في مرحلة متقدمة من التطور الحضاري للبشرية. وهذا ما نلمسه بوضوح في إشارة غوتة إلى الدور الذي يلعبه الأدب العالمي في توطيد أواصر العلاقات المتبادلة بين الشعوب. يقول غوتة: «إننا نود أن نعيد إلى الأذهان من جديد أن مسألة توحيد العقليات الشعرية أمر مستحيل. فالحديث هنا يدور حول تعريف الشعوب بعضها بعضاً، وليس عن أي أمر سواه. وحتى إذا اخفقت الشعوب في إقامة علاقات محبة متبادلة فيما بينها، فإنها ستتعلم في الأقل كيف تتحمل بعضها بعضاً.

إن التقدم التكنولوجي، وخاصة في مجال الاتصالات ووسائل الإعلام الحديثة قد ساعد في تقريب ثقافات الشعوب المختلفة وآدابها وفي النضج السياسي والتكامل الروحي على نحو متسارع بمضي الزمن.ولا نعني بذلك زوال الحدود الجغرافية أو ابتذال القيم وضياعها، بل التفاعل الهارموني لكافة القيم .إن الشخص الذي لا يرى في الأدب العالمي سوى سلسلة من المؤلفات الشامخة، سيدهش للفكرة التي مؤداها أن أدب كل شعب ينبغي أن يجد مكانه ضمن الأدب العالمي.

الرابع: الصفات العامة التي يتسم بها تطور آداب مختلف الشعوب والمناطق في جميع العصور: كان مكسيم غوركي أول من أشار إلى وجود مثل هذه الصفات حين كتب يقول «انه لا يوجد أدب عالمي لأنه لا توجد لحد الآن لغة مشتركة بين جميع شعوب الأرض، ولكن الأعمال الأدبية لجميع الكتاب «مشبعة بوحدة المشاعر والأفكار والآراء الإنسانية العامة. وبوحدة الآمال لإمكانية تحقيق حياة أفضل. ولعل هذا التفسير هو الأقرب إلى الفهم

الحديث للمصطلح. ونحن ندرك اليوم بجلاء أن القيم الشعبية والقومية الحقيقية هي في الوقت ذاته قيم إنسانية شاملة.

الأدب بين القومية والعالمية

إن النماذج الإبداعية تصب في شرايين منظومة الأدب العالمي بطرق ووسائل شتى . النتاجات التي تتميز بسماتها الفكرية والفنية العالية، تتجاوز الحدود الفاصلة بين الشعوب وتصل إلى جمهور القراء في البلدان الأخرى، الذين لم يسبق لهم قراءتها، والأمثلة على ذلك كثيرة للغاية. الباحثون الألمان أدركوا عظمة شكسبير وشرعوا في الترويج لها على نحو أكثر توفيقاً من زملائهم الإنجليز .ولم يقرأ الناس شعر عمر الخيام - الذي أدهش العالم - إلا بعد ظهور ترجمة فيتزجيرالد.

إن معظم الأعمال الأدبية تصل إلى القراء عن طريق الترجمة، وثمة علاقة واضحة بين الاتصالات الأدبية الدولية النشيطة في أيامنا هذه وبين الاهتمام الساخن بالقضايا النظرية للترجمة الفنية. ولا شك أن النتاجات الأصيلة قد تفقد شيئاً من بريقها بعد ترجمتها، بيد أن هذا الخطر يظل قائماً في الحالات التي تقرأ فيها من قبل قراء لا يتقنون اللغة التي كتبت بها . ولا شك أن مبدعي الأدب في كل بلد هم الكتاب والمترجمون على حد سواء.

ثمة نتاجات تصبح جزءاً من الأدب العالمي بعد مضي فترة وجيزة من نشرها، ونتاجات أخرى لا تصبح كذلك، إلا فيما بعد، وأحياناً في زمن متأخر للغاية، والبعض منها ينتظر دوره في الوصول إلى المجد العالمي، ولكن دون جدوى، لأن الوصول إلى العالمية يتوقف على أمور كثيرة، ويكاد يكون من المستحيل التنبؤ باللحظة التي يصبح فيها هذا الأثر الأدبي أو ذاك جزءاً من الأدب العالمي. ومن السذاجة ربط هذه اللحظة ببعض الحقائق، كظهور ترجمة لعمل أدبي ما في خارج البلاد أو الإشارة إلى الكاتب في هذه المناسبة أو تلك خارج بلاده. وهذه تفصيلات قد تتفاعل وتشكل بداية لولوج الكاتب ساحة الأدب العالمي حين تكون نقطة انطلاق لعملية عضوية حية ولا تظل مجرد حقائق عرضية. في هذه اللحظة فقط يمكن اعتبار العمل الأدبي جزءاً من الأدب العالمي.

إن الوصول إلى العالمية لا يعني البقاء فيها إلى الأبد .فعلى سبيل المثال نرى أن اناتول فرانس دخل الأدب العالمي منذ البدء، بينما نراه في العقود الأخيرة يلفظ خارجاً ليحتل المرتبة الثانية. وكذلك جورج ويلز، الذي لم يلق في بداية الأمر صعوبة في دخول الأدب العالمي، ولكن أين موقعه اليوم ؟ إنه في الواقع خارج إطار هذا الأدب. وعلى هذا النحو نرى أن مدى الاعتراف بكاتب ما قد يتعزز أو يتراخى، بل وقد ينقطع لفترة قصيرة أو إلى الأبد. الكاتب الذي يظل حياً في الأذهان هو الذي تصمد أعماله الإبداعية أمام الزمن وتعاقب الآراء والأجيال وإجماعها على قوة هذه الأعمال وفرادتها.

ومما لا ريب فيه أن عزلة الأدب القومي عن الآداب الأخرى يؤدي إلى تأخره، والنجاحات التي حققتها الآداب القومية عبر التأريخ كانت بفضل اعتمادها على الاقتباس من الخارج واستيعاب وهضم وتمثل هذا الاقتباس من أجل تحقيق أكبر قدر من التعبير الذاتي بمعونة الآداب الأخرى أو في الصراع ضدها.

إن مكانة الدولة في العالم ونفوذها السياسي والاقتصادي وعدد سكانها ومدى انتشار لغتها، تلعب دوراً كبيراً في الاعتراف العالمي بكتابها الذين يعكسون حياتها الروحية في نتاجاتهم. أما آداب الشعوب الصغيرة واللغات قليلة الانتشار، فإنها تحتل مواقع أسوأ بكثير نسبياً من آداب الشعوب الكبيرة، واللغات واسعة الانتشار من حيث الاعتراف العالمي بها.

ليست ثمة آداب عالمية متعددة، بل أدب عالمي واحد على الرغم من ذيوع رأي خاطيء يقول بوجود هوة بين ما يسمى «الروح الأوروبية» من جهة و«الروح الآسيوية» أو «الروح الأفريقية» من جهة أخرى.

إن الذين يعتنقون هذا الرأي يعالجون وضعاً تأريخياً معيناً، ويتناولونه كوضع ثابت لا يتغير بمضي الزمن.وبالطبع فإن هذا لا يعني أن الأدب العالمي وحدة يسودها الانسجام، فثمة أمر واضح هو تشابه آداب مجموعة من البلدان من حيث التعبيرعن العالم الروحي لشعوبها. فعلى سبيل المثال نجد أن آداب بلدان أوروبا الشرقية أكثر تشابهاً فيما بينها من الآداب الأخرى. والآداب الأوروبية الغربية أو الأميركية الشمالية أو الأسترالية، هي اليوم أكثر قرباً من بعضها من آداب المناطق الأخرى. وكذلك آداب بلدان أميركا الجنوبية المدونة باللغة الإسبانية، فإنها تتأثر كثيراً ببعضها بعضاً، وهذا التأثير أعمق من القشرة اللغوية. بيد أن تباين ظروف الحياة يؤثر أيضاً وعلى نحو شديد في نحت ملامح كل أدب من هذه الآداب، وتحديد السمات التي يتصف بها.

ان اهتمام الجماهير في شتى أرجاء العالم بنتاجات اتجاه أدبي معين - كالواقعية السحرية مثلاً - أو بظاهرة سياسية ما - كالإسلاموفوبيا في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية -يمارس تأثيراً قوياً في عالمية الأدب، ونعني بذلك، الدور الملهم للنجاح في التعبير الفني القوي عن روح العصر.

الذاكرة الثقافية بين اليوم والأمس

فرات إسبر

عبر تاريخ البشرية، لم تتوقف الحروب، بل تنوعت أشكالها وأساليبها وأُطلق عليها العديد من المصطلحات والمسمّيات، كالحروب الاقتصادية والسياسية والحروب الفكرية والثقافية، وكل هذه الحروب لم تكن يوماً لخدمة البشرية إنما لتدميرها.

الحروب لا تترك وراءها إرثاً ثقافياً أو معلماً حضارياً يُؤسس كذاكرة حضارية يمكن الاستفادة منها بالنسبة للأجيال القادمة والمستقبل، إذ لا يمكن فصل ذاكرة الماضي عن أحداث المستقبل، ففي كل مجتمع يوجد ذاكرة استحضارية، تعود إلى الماضي ويتم استحضاره عبر وقائع وكتب وصور تتنوع ما بين الذاكرة البصرية والذاكرة المكتوبة.

ودائما تنتهي هذه الحروب بفظائع كبيرة سواء بالنسبة للذاكرة المكتوبة أو الذاكرة البصرية ومن هنا ويأتي دور الفن، ليرسخ ثقافة هذه الحروب، عن طريق التأريخ أو الأدب أو السينما، وهذه الأخيرة لعبت دوراً مهماً في ترسيخ ثقافة الحروب.

ما الذي تجنيه البشرية من الحروب؟، وأيّ نصر يتحقق على هذه الأرض التي لا تهدأ من الويلات؟، ما ذنب الآلاف من البشر الذين يدفعون حياتهم ثمناً لصراع لاعلاقة لهم به ليصبحوا بعدها مجرد ذكرى تعلق على جُدران المتاحف وجدران التاريخ.

حكايات لا تنتهي وهي التي يمكن أن تكون مرجعاً للتوثيق على مستوى أدب الحرب من حيث أن وسائل الاتصال في الحروب قديماً كانت من خلال الرسائل التي تم ارسالها من الجنود والمحاربين إلى أهاليهم وهذه الرسائل كانت لا تصل أبداً وبقيت الرسائل بمغلفاتها الأصلية التي تحمل غبار الحروب، تُعلق على صدر متحف بارد، بكل ما فيها من مشاعر إنسانية صادقة إذ لا يمكن لأي شخص عادي أن يتخيل ما تحمله هذه الرسائل من قهر وموت وشوق وخوف تتركه الحرب في نفوس البشر والمقاتلين.

هل تدفعنا الحروب إلى الإيمان، مثل ما تدفع البشر إلى الكتابة؟، كما في حكاية الجندي المقاتل في الحرب العالمية الذي روى قصته: «بأن الكتاب المقدس أنقذهُ من رصاصة كانت قد وجهت إليه، حيث كان يقرأ الكتاب المقدس ويتضرع إلى الله كي تنتهي هذه الحرب».

الحروب لا تغّير الحياة البشرية على الأرض فقط وإنما تغّير الروح الإنسانية فمثل هذه الحادثة، تدفع الملايين من البشر إلى الإيمان بأن الله هو المنقذ ومخلص البشرية سواء على الصعيد العام أو على الصعيد الشخصي من الحروب والويلات وعُلقت نسخة الكتاب المقدس الذي اخترقته الرصاصة في أهم متاحف العالم وهو متحف «تي بابا» وهو في نيوزلندا ولا بد من الإشارة إلى أن نيوزلندا شاركت في الحرب العالمية.

فهل تعزز الحرب فكرة الإيمان بالله، أمام ما نرى من القتل والذبح باسمه، حيث تقطع الرأس وتفصل عن الجسد؟.

للحرب ذاكرة ثقافية خاصة، إنها ذكراة معجونة بالموت والخراب والفشل والنصر الذي لا يعد نصراً، حيث يموتُ البشر دون هدف أو غاية، ومع ذلك نشهد الإرث الثقافي للحروب بتجسيدها عبر أعمال سينمائية أو قصص وروايات وحتى في الشعر وتاريخ السينما حافل بأفلام صورت بشاعةَ الحرب وويلاتها كما في «فيلم الجندي المجهول، وفيلم «وداعاً للسلاح» المأخوذ من الرواية التي كتبها «إرنست همنغواي « ونشرت عام ١٩٢٩، وعازف البيانو الذي نال السعفة الذهبية، ولورانس العرب وأيضاً كما هو الحال في فيلم «كازابلنكا « حيث صور الفيلم في الدار البيضاء ويحكي عن معاناة اللاجئين من ويلات الحرب.

أفلام بديعة صّورت ووثقت الحروب وويلاتها ومع ذلك لا يمكن أن ترقى لكشف مشاعر وأحاسيس بشر عاشوا في قلب هذه الحروب، والتي أخذت منهم كل شيء وزعزعت قناعاتهم بالأرض والإيمان.

المؤرخ صموئيل هاينز يرى:»أن الحرب، هي نقطة تحول في تاريخ البشرية، بكل ما فيها من ويلات وفظائع» وهذا ما نشهده في واقعنا اليوم، مع الاختلاف في وعي الشباب لمفهوم الحرب وتوصيفها.

ونجد أن هناك تقارباً حقيقياً بين وجهة نظر «صموئيل هربنز» عن تصوراته حول الحروب و الحرب القائمة اليوم على الإرهاب.

أية ذاكرة ثقافية سيترك هؤلاء للأجيال القادمة ؟، مهما قدمت السينما والرواية والشعر من أعمال أدبية وأفلام فإنها لن تجرؤ على الاعتراف بهذه الحرب، التي لا إرث لها ولا ثقافة غير ثقافة القتل المتعمد للحضارة والبشرية، فإذا كانت الثورات والحروب تُقام للإصلاح، فإن هذه الثورات التي شهدها عالمنا العربي، لا تصلح للتوثيق، لأنها وصمة في تاريخ الدين والبشرية مع الأعلام الذي ساهم بها وصنعها دولياً وعالمياً من خلال تمويلها، في الخفاء والعلن، وأدت إلى تدمير مدن وحضارات بكاملها كما في مدينة تدمر الأثرية التي حكمت فيها زنوبيا، لم يتركوا فيها معبداً أو معلماً تراثياً إلا وحولوه إلى ركام، فمن بغداد إلى سورية إلى اليمن، نرى همجية الحرب في خُطط مرسومة ومتقنة لهدم تاريخ وحضارة هذه البلدان.

إن أشد الصدمات التي تتعرض لها البشرية، بالإضافة إلى الخسارات المادية والجسدية والجغرافية، تبقى الصدمة الاجتماعية، التي تؤثر على مدى أجيال وأجيال، إذ أيّ إرث سترث الأجيال، تحت مسميّات الجهاد وقطع الأعناق وسبي النساء، المعاناة والخطورة الحقيقية تكمن في علاج من عاد معافى جسدياً من الحرب ولكنه تشوه روحياً، ومن هنا نرى الأثار السلبية الخطرة على الأجيال وصعوبة علاجها اجتماعياً، المتاحف بنيت لتحفظ تاريخ البشرية وتطورها وتراثها ومعالم هذا التطور عبر سنوات طويلة من الزمن، كما في متاحف دمشق وبغداد التي ترى فيها صورة الإنسان الأول وإبداعاته، من جلجامش إلى الفنون المعاصرة، وفي متاحف العالم كما في فرنسا وبريطانيا وألمانيا التي تجسد عظمة شعوبها وإبداعاتها من كتاب وشعراء ومفكرين وفلاسفة وأبطال الحروب الذين صنعوا السلام لبلدانهم.

لكن السؤال الذي يثير الاهتمام اليوم، لماذا دُمرت متاحفنا العربية، لماذا أُحرقت الكنوز الموجودة في متاحف بغداد ودمشق واليمن؟، أليست خطة لمحو تاريخ هذه الأمم التي شهدت حضارات البشرية الأولى، وكانت مهدها كُتب الشعراء الكثير من القصائد عن الحروب، عن موت الأصدقاء ومن أهم وأعظم القصائد التي كُتبت في تخليد الحرب كتبها الشاعر الكندي «جون ماكريه» خلال الحرب العالمية الأولى في ٣ مايو من عام ١٩١٥ بعد حضوره جنازة صديقه وزميله الجندي «أليكسيس هيملر» الذي قُتل في ببلجيكا.

يقول فيها:

كنا أحياء، أحسسنا بالفجر، رأينا الأصيل يتألق
في حقول الفلاندرز، تابعوا معركتنا مع العدو
من أيدٍ خائرات نرمي إليكم الشعلة
ولتكن لكم لترفعوها عالياً.
وأن نقضتم العهد، نحن الذين نموت

القصيدة معلقة في متحف بلجيكا مع مفارقات صورة الحرب بين الأمس واليوم.

ماذا سيبقى لنا،على جدران متاحف التاريخ، هل سنعلق الرؤوس التي قُطعت أو النار التي أضرمت أو السبايا والمخطوفات من أطفال ونساء وشيوخ ، حقاً إنه زمن العار، هل نعلق الآيات والسور القرآنية والأحاديث التي تحث على القتل والجهاد والسبي!؟.

ربما ينقلب التاريخ، وتتغير صورة الحرب، لتصبح حرب اكتشافات وعلم وحضارة ونهضة، وأن يتحول ثمن هذا البارود إلى المفكرين والعباقرة لبناء مجد الإنسان.

يوجد أسئلة كثيرة مركبة ومعقدة، تدفعنا إلى الخوف من التأريخ، كون هذه المرحلة، تعتبر من أسوأ المراحل التي مرت بها البشرية فما الذي يمكن أن يُقدم عبر هذا التاريخ للأجيال القادمة، التي لن يكون لها ماضٍ ولا حاضر.

يبدو جلياً إن هذا التاريخ الذي يُؤسس له،هو ما عرّفه ابن خلدون بقوله:»التاريخ هو حال من أحوال عمران العالم، وما يحدث لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات..»

إنها صورة واضحة، وكاشفة لعصرنا الذي نعيش فيه.

طاب الصحو يا عرب....

رجاء شعبان

قبل مئة من السنين ..
قبل قرن من الحلم
كانت الصيحة طاب الموت يا عرب..
قبل الخلق والتاريخ كان العرب ..
صبغوا البحر صنعوا الحرف..
زرعوا الأرض
بنوا القبب
رفعوا مداميك الأرض إلى السماء..
قبل الفجر كانوا
والفعل أرض وعطاء..
ما الذي دهانا .
كم من الدهر طال النوم...
وبعد النوم الطويل
استيقظَ العرب على صعقة كرامة مدويّة...
لا ولن يناموا بعد...
شقّت السماء ونزلَ منها الخطر...
فكانت نُذر..
أيَا من طغوا وزلزلونا ونحن نيام فتزلزلوا...
منذ عقود لم ننم
جاءت الصرخة المدويّة ألا انهضوا يا نائمين....
قُتل الأبرياء من إخوانكم وأنتم تحت لحفكم آمنون...
نحن لم نكن آمنين....
سنين تعبنا وهلكنا وصرخنا وبكينا وودعنا أبناءنا وصارت
القبور مسكننا وبدموعنا نتلحف وأنتم تستهزئون....
كفاكم صمتاً يا عرب.....
أهلاً بصحوتكم...
لقد سئمت الكرامة نومكم فانتفضت تعلن بكم ومن
خلالكم الزلزال العظيم....
الزلزال العظيم خططه وفخخه الكبرياء لشبّانٍ عندنا
كانوا على عهد الحبّ للوطن وبالوطن يتخرّجون...
وضحك العهر ضحكته
وشرب الشيطان شربَتَه
وعربد بأسلحته فأرداهم بحضن أمهاتهم وآبائهم
ينامون....
ولكنهم لا... هؤلاء لا ينامون.... اعتادوا التدريب
والسهر....
قتلوا الفناء بنبض الشباب وحلم الأيام على غدٍ
لحبيباتهم يظهرون...
لن يناموا يا عرب...
هؤلاء من بيوت الشهداء خرجوا وودعوا الدفء والمنازل
على وقع صلاة شهيد...
انهضوا يا عرب....
لا تيأسوا يا عرب...
فالحرب ليست يوماً أو يومين.... بقينا فيها أعواماً
وسنين....
وهذا يتأوّل بنا وذاك يحكي الحكاوي المسلّية عنّا ونحن
نرزح تحت الحصار والدمار والموت نصبر ولا نموت....
ندعو بالحياة والموت على كل خائن ضمير....
أقول بجدّ وكبرياء:
طاب الصحو يا عرب...
أغرَقكُم تحتكم الماء....
هيا فانهضوا... هيا فانهضوا...
يا إخواننا يا عرب

قداسك

ليلى مصطفى

هو قدّاسكَ
مِن عمر تشرينَ
أودِعهُ شتائي
وخَيطٌ من عطركَ
يطوّقني ك جملةٍ
هاربةٍ من
رجفةِ الصّقيع...
على حافّة دوخةٍ
تصيرُ الأصابعُ
شفاهاً تعزفُ
على خصر الروايةِ
تحتضنُ كحل
عينيّ
تضيءُ لوزَ
ضلوعي وأنا
أترنّم على جسدِ
الغواية ...
أسكنُ خَيمةَ
حريقكَ
أتلاشى على
سرو اللهف
أتخفّف إلاّ من
قُبلة
تحملُني إلى
آخرِ هذيانٍ وغياب

أيها المجهول

منى حبابة

عندما أجد مكاناً يليق بي..
مكاناً أفرد به ماستطعت من
حكايا.. وسنين عمري
وأكتب على وجه السماء بحنين
لن أتوانى يوماً بالمشاغبة
فالأفئدة من تضرعت لقلب
طاولة الغياب
كانت الموائد فارغة من هيكلها..
وكانت الوجوه الشاحبة تنظر
إلى البعيد
مانفع كل هذا الضجيج
ورأسك يطأطئ أمام كل مفردة
عارية
هؤلاء المارة ليسوا في مفكرة
حسابك
فاختر لنفسك الهدوء..
وماضرك أن تعقد صفقة
مع الصمت ينجيك من
المهاترات
وتكون أنت بمفردك.. ولن
يشبهك أحد.
تتعبد الحب.. أي حب يصنع
حولك السعادة.
أمامي مكتبة عزلت كل الأسماء
المبتكرة
وأصبحت مجرد ركام أستطيع
التخلص منها
بعود كبريت. أو طرف سيجارة.
أمنحها الخلاص.. وتمنحني
المكان يتسع
لصوتي أنادي أحبة لعل الصدى
يتبعهم
ولعلني أتدفأ على وقع أقدامهم..
وصرير المعرفة
يسبقني لاتخذ قامتي وأسير
نحو هذا المدد..
ونحوك أيها المجهول.. ببراءتي.

الراحلون

محسن محمد فندي

من أين أبدأ في رثاء
الراحلين إلى السماء،
الحاملين إلى الإله دماءهم،
القابضين على الزناد اليعربية/ه،
من أين تأتيني القوافي الباكيات وأدمع الشوق
السخيّة/ه
لغز يسافر كالحمام على المآذن نحو غيماتٍ نديّة/ه
قمر يحوّط بالدّماء،
وطفلة..
تشكو ببادر حلمها،
أمُ يعانقها الهلال فتكتفي،
ويد تطير بها الأكف الحانيات..
على القلوبِ..
وزفرة حرّى
ورفّة عاشق
وحبوب سنبلة يخبئها الربيع
وأمّتي تغفو على سمت..
التّواريخ الممزّقة الغبيّة/ه
في حمص..؟
يحترق الخريف وتشتكي
عينٌ، وتختنق الورود
كما الشوارع والمسامات
التي انفتحت بها طرقاتها،
والعهر ...؟ ! كيف العهر.. يتهم الضحيّة/ه
في حمص تصفرُ الحجارة
والمناديل التي قد لوحت
للقاء من رضعوا الشهامة
والوفاء وأقسموا...
هم خالدون
وقدمضوا...على شفة النهار..
بلا قضيّة/ه
والقادم الوثنيُ من است الشمال
الخادم المخصي من بين الرجال
القابع المخفيُ مابين المزابل والضّلال
والرّاقصون على الجراح
لبئس أصحاب الرزيّة/ه
هم شامتون وحاقدون
وسافلون وكافرون كانّهم
نعج غبيّة/ه
والرّاحلون إلى مدار النور
تحملهم أكفُ الأنبياء
إلى جنانهم العليّة/ه
لايسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى تراق على مدارجه
دماءهم الزكيّة/ه